بلاغة الفطرة في التعبير القرآني- سياق خلق الإنسان /أنموذجاً

الباحث الأول: زهراء محمد عبد الغني النعيمي
ماجستير باختصاص اللغة العربية / الأدب
جامعة الموصل/ كلية التربية للبنات
الباحث الثاني: أ.د. مازن موفق صديق الخيرو
اختصاص: لغة عربية / بلاغة
أستاذ في جامعة الموصل / كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

الملخص :
الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم على رسوله العظيم (ﷺ)كتاباً ساطعاً تبياناً ناصعاً قاطعاً برهانه باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان ،ولا تنقظي عجائبه ،والصلاة والسلام على أفصح الخلق لسان الحق ،وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد : فقد وقع اختياري على دراسة بلاغة الفطرة في التعبير القرآني ـ سياق خلق الإنسان /نموذجاً ،من أجل معرفة صيغ الفاظ الفطرة التي وردت في سياق خلق الإنسان ،واقتضت خطة البحث أن تكون من مبحثين سبقهما مقدمة وتلاهما خاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ،تناولت في المبحث الأول الآيات التي وردت في سياق صيغة فطرني ،والمبحث الثاني الآيات التي وردت في سياق الصيغ المختلفة .

كلمات مفتاحية : بلاغة الفطرة ، التعبير القرآني، سياق خلق الإنسان

The Rhetoric Of Instinct In The Qur'anic Expression - The Context Of Human Creation / A Model

The first researcher: Zahraa Mohammed Abdul-Ghani Al-Nuaimi
Master's degree in Arabic Language / Literature
University of Mosul / College of Education for Girls
The second researcher: Prof. Dr. Mazen Mowafaq
Specialization: Arabic Language / Rhetoric
Professor at the University of Mosul / College of Education for Girls / Department of Arabic Language

Summary:
Praise be to God who sent down the Noble Qur'an to His great Messenger (may God bless him and grant him peace) as a bright book, with clear and decisive clarification, with proof that remains without every miracle on the face of every time, and its wonders do not fail, and prayers and peace be upon the most eloquent of creation, the tongue of truth, and upon his family and companions, and peace be upon him abundantly. I chose to study the rhetoric of instinct in the Qur'anic expression - the context of human creation / as a model, in order to know the formulas of the instinctive words that were mentioned in the context of human creation. In the first section, the verses that were mentioned in the context of the Fitrni formula, and the second section, the verses that were mentioned in the context of the different formulas.

Keywords: rhetoric of instinct, Quranic expression, the context of human creation

المقدمة :

الحمدلله الذي صدحت ببلاغة كتابه ألسنة أهل البلاغة والبيان ، والصلاة والسلام الأتمان على أفصح العرب والعجم من أخصه الله بالفرقان ، وعلى أله وصحبه أهل التقى والنهى والعرفان ، ومن سار على نهجهم وأتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن القرآن العظيم معجزة الله الخالدة الذي لا ينقضي إعجازه مهما طال الزمن ، إذ دأب العلماء والمشتغلون بالعلم في بذل قصارى جهدهم، ووقتهم؛ ليستنبطوا جماليات أسلوبه المعجز ، وليقفوا على أسرار نظمه ، فما أشرفه أن يعيش المرء مع بيان الله تعالى لينهل من معينه الذي لا ينضب ، وبتشرف أنواره القدسية ؛ ومن أجل ذلك انعقدت نيتنا بعد تيسير الله تعالى على أن تكون دراستنا مخصصة بالقرآن الكريم، إذ هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ووقع اختيارنا على موضوع البحث (بلاغة الفطرة في التعبير القرآني ـ سياق خلق الإنسان/ نموذجاً) ؛ لما وجدنا فيه من أفانين بلاغية ذات أغراض متنوعة وجمال صياغة وأساليب بديعة تستحق منا الوقوف والتأمل لنستقرئ تلك البدائع ونستخرج تلك النفائس .

وقد اقتضت خطة البحث مكون من مبحثين سبقهما مقدمة .وتناولت في المبحث الأول الآيات التي جاءت بصيغة فطرني، وتناولت في المبحث الثاني الآيات التي وردت مختلفة الصيغ، وكان توزيع الآيات قائماً على ما جاء في الترتيب القرآني للآيات على وفق السور والأجزاء ، مستغنين بهذا التقسيم عن التقسيم البلاغي ضمن علومها الثلاثة خشية تكرار الآيات في أكثر من موضع من البحث. أما المنهج الذي اعتمده البحث فهو المنهج التحليلي المرتكز على الجانب البلاغي النظمي في سبيل الوصول إلى حقيقة بلاغة تلك الآيات ومشاهدها التصويرية الجمالية .

(المبحث الأول)

(سياق صيغة فطرني)

. ما جاء في سياق الدعوة إلى عبادة الله تعالى ،وترك عبادة الأمم السابقة من الآلهة والأوثان قال **تعالى :(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ)**، (1) نجد هذه الآية الكريمة نزلت في سياق الأخبار عن الأمم والأقوام السابقة عندما أرسل الله إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين فأرسل الله تعالى إلى عاد الأولى ،أما عاد الثانية هم شداد ولقمان المذكوران في **قوله تعالى :(ارم ذات العماد)** (2) أرسل الله إليهم نبي منهم وعبر عن هذا المعنى بلفظة أخاهم أراد الخطاب القرآني من خلال ذلك أن يبين لهم قربه منهم في المنزلة والدرجة الاجتماعية والنفسية ،فإن الله تعالى جاء بنبي منهم ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى ؛ من أجل مراعاة لنفسيتهم وتقبلهم لدعوته أكثر مما جاء برجل غريب عنهم أو أقل منهم منزلة اجتماعية ،ليدعوهم إلى عبادة الله ،ويبين لهم عاقبة إعراضهم عن دين الله تعالى بوصفهم بأنهم كذبوا على الله ؛لأنهم اتخذوا الأوثان شركاء لهم وأن النبي هود(عليه السلام)دعاهم إلى عبادة الله تعالى، حيث جاء بلفظة (اعبدوا) بدلاً من لفظة آمنوا ؛لأن أولى درجات التقرب من الله تعالى وطاعته من خلال النطق بالشهادتين وقراءة القرآن والتسبيح والصلاة ،وتأتي المرحلة الثانية من الإيمان بكون القلب عندما يمتلئ حب وخوف وخشية وتوكل على الله تعالى ، فلفظة (فطرني) أي أنشأني من عدم، و أخرجني من الأرض كما تخرج النبتة، فينفطر لها (أي ينشق) أديمها حتى ترى النور، وتتنفس أنفاس الحياة. وفي هذا ما يكشف عن قدرة الله، وآثار رحمته في هذا الإنسان، الذي كان نطفة ثم علقة فإذا هو خصيم مبين، (3)،ومن جماليات النظم البلاغي مجيء لفظة (فطرني)جاءت في سياق أسلوب القصر(بأن وإلا)وذلك من ؛لأن المقام مقام إنكار قوم هود (عليه السلام)لدعوته فاستدعى المقام أن يأتي بالقصر(أن وإلا)؛ لأن

(1) سورة هود،الآيتان:50,51.
(2) سورة الفجر ،الآية :4.
(3) ينظر :التفسير القرءآني للقرآن:1153/6.

القصر بهما أكد وأقوى من القصر من إنما ، (4)فالنبي هود (عليه السلام)قصر أجره على خالقه ؛لأنه موقن بأن له خالق ومدبر ،نجد أنه عبر عنه بالموصول (الذي)حيث أعطى دلالة التفخيم للكلام وتوكيد، كما نجد أن لفظة (فطرني)جاءت بصيغة الفعل الماضي أثبت من خلال ذلك وجود الله تعالى وأنه خالقه من قبل أن يكن شيئاً ،وتكفل له بالرزق كما تكفل لسائر من أوجده من المخلوقات ،وإنه الذي سيعيد خلقه من جديد وسيجزيه أجر صنيعه في الدار الآخرة ، فإن النبي هود (عليه السلام)عندما أعطى كلامه الأسباب التي تجعله يعرض عن طلبه الأجر منهم فأعطى كلامه القوة والتأكيد لما يقوله ، (5)وإن غاية التوكيد" لتثبيت المعنى في نفوس سامعيه"(6)ومن النظم البلاغي في الآية استهلالها بأسلوب النداء وهو نداء صادر من النبي هود (عليه السلام)لقومه بأداة النداء(الياء)التي تستعمل لنداء البعيد، أستعملها الخطاب القرآني لنداء القريب أفادت تنبيه السامع لما بعدها لغرض الاهتمام به ،ورد النداء في هذه الآية الكريمة بأسلوب راق دال على الرفق واللين وذلك باستعمال لفظة(قوم)من أجل استدعاء قلوبهم التي تجمعهم أواصر الدم والقرابة من أجل دعوتهم إلى دين الله تعالى كما نلتمس في حوار نبي الله هود(عليه السلام)مشاعر المحبة والشفقة والخوف على قومه من شدة العذاب الذي ينتظرهم [7]

وهي من الإعجاز البلاغي في الآية القرآنية ، أما قوله تعالى :(أفلا تعقلون) حيث جاء الخطاب القرآني بأسلوب الاستفهام الإنكاري من أجل توبيخهم على عدم تفكيرهم واصرارهم على الشرك بالله ،وجاء بعده بلفظة (تعقلون)حيث ناسب مجيء الأسلوب مع اللفظة من أجل مخاطبة عقولهم التي لا تقبل سماع قول الحق ،فجاء الخطاب القرآني بهذه الفاصلة مناسبة لسياق الآية الذي يتحدث عن إنكار الدعوة والإعراض عنها ،مع أن الغاية من الاستفهام الإنكاري هو اجبار المخاطبين على التأمل والتفكر في القول مع اجبارهم على الرد ، حيث أن من الإعجاز في الخطاب القرآني هو أن يأتي بفاصلة مناسبة للمعنى المراد التعبير عنه (8)أما حرف العطف(الفاء)افادة الترتيب والتعقيب فتقع الفاء مرتبة الأخبار ترتيباً فكرياً على وجه يحقق أغراض القصة وأهدافها حيث أن القرآن الكريم يعمل على ترتيب الآية وفق أحداث الصورة ومقاصدها ، (9) ومن جماليات النسيج البلاغي مجيء حرف العطف(الفاء)فقد أفادت الترتيب سياق الآية حيث ابتدأ الخطاب القرآني بحرف النداء الذي افاد التنبيه ،وبعدها جاء بحدث الدعوة إلى دين الله مع التوضيح إنه لا يبغي منهم الأجر فبعد كل هذه الأحداث والتوضيحات خاطب عقولهم المصرة على الشرك ، ومن بلاغة الآية الإطناب ؛لأن الآية جاءت في سياق الخبر الإنكاري فاستدعى العديد من المؤكدات على قوله منها(النداء ،أن ،الاسم الموصول الذي ،وأسلوب القصر ... الخ)ونوع الإطناب الوارد في الآية هو الاحتراس ،فعندما رأى المشركين نبي الله هود (عليه السلام) يزداد في تأكيده وتكرار في دعوتهم إلى توحيد الله فخاف من أن يتوهموا أنه يبغي من جزاء دعوته الأجر فاسترسل في الحديث ،ووضح لهم إنه لا يبغي من نصيحتهم سوى الأجر من خالقه، (10)'

---

(4) ينظر:دلائل الإعجاز:332.، ،ينظر: علوم البلاغة :150،ينظر:بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح ،عبد المتعال الصعيدي:3/2.

(5) ينظر:التحرير والتنوير :95/12،ينظر:روح المعاني:275/6،،ينظر:شذا العرف في فن الصرف:13.، ينظر:علم المعاني دراسة بلاغية نقدية :36.

(6) من بلاغة القرآن :211.

(7) ينظر: أسلوب الحوار في القرآن الكريم دراسة خصائصه الإعجازية وصوره النفسية،عبد الله الجيوسي،المجلة الأردنية في الدراسات النفسية ،142–2006م.،العدد 2،،ينظر:الطراز في البلاغة العربية وعلوم حقائق الأعجاز:161/3،ينظر:البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن بن حنبكة الميداني الدمشقي (ت1425ه)251/1،ينظر:التحرير والتنوير:95/12، ينظر:علوم البلاغة البيان المعاني البديع :117.

(8) ينظر:من بلاغة القرآن:69،ينظر:دلالات التركيب :33،ينظر:زهرة التفاسير :3717/7،ينظر:تغسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي (ت1371ه):47/12،ينظر:البيان القرآني :163.

(9) من أسرار حروف العطف::26.

(10) الأحتراس في القرآن الكريم ،حنان بنت قاسم بن محمد العنزي:123،انوار الربيع في أنواع البديع:305/1،ينظر:جامع البيان في تفسير القرآن :357/15.

.أما ما جاء في سياق التعجب من ترك الإنسان عبادة الله وحده وعبادة غيره والدعوة إلى توحيد الله تعالى قال تعالى: (**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) (11)نجد أن هذه الآية الكريمة نزلت في حبيب بن إسرائيل النجار... إلخ، وهو ممن آمن بالرسول محمد (ﷺ)وبينهما ستمائة سنة، كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ،ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره ،وقيل كان في الغار يعبد الله ،فلما بلغة خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاوم الكفرة فقالوا: أو أنت تخالف ديننا، فوثبوا عليه فقتلوه،" غضب الله عليهم ،وعجل النقمة على قومه ،فامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا على اخرهم (12)فلفظة (فطرني) جاءت بمعنى "خلقني اختراعاً وابتداعاً...أي :جعلني على الفطرة كما قال تعالى :فطرت الله التي فطر الناس عليها " (13) فلفظة (فطرني)جاءت في سياق أسلوب الاستفهام الإنكاري ،ومن جماليات هذا الأسلوب بأنه استنكر فعله بكونه لا يعبد الذي خلقه ؛ولكنه يريد بخطابه هذا هو التعريض بفعل المشركين وتفاهة عقولهم في عبادة الأصنام التي لا تعقل وهي لا تضرهم ولا تنفعهم ،عن عبادة الحي القيوم الذي بيده مقاليد السماوات والأرض ،وهو الذي بيده أعمارهم وأرزاقهم ومصيرهم ،ونجد ان في هذا الأسلوب تلطف في خطاب المشركين وجعل اسناد الضمير إلى نفسه ؛لابراز معرض المناصحة لنفسه ،وهو يريد نصحهم ليتلطف بهم ؛لكي يجذب عقولهم وقلوبهم إلى قوله نجد في هذا الأسلوب استدراج عاطفتهم وعقولهم لكي يكون ايمانهم على يقين كامل بكل ما يقوله ،فاستدرج عاطفتهم؛ لأنه **يريد نصحهم ليتلطف بهم ويداريهم** من خلال اسلوب الخطاب الذي وجهه إلى نفسه ،والمراد به قومه ، والدليل على أن المراد به خطابهم هو قوله تعالى :(وإليه ترجعون)، **كما إنه "لو قال مالكم لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ، لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيَانِ مِثْلَ قَوْلِهِ: وَما لِيَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: وَما لِيَ وَأَحَدٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُ نَفْسِهِ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ الْعِلَّةَ وَبَيَانَهَا مِنْ أَحَدٍ ؛لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ نَفْسِهِ فَهُوَ يُبَيِّنُ عَدَمَ الْمَانِعِ، وَأَمَّا لَوْ قَالَ: (مَا لَكُمْ) جَازَ أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ أَنَّهُ يَطْلُبُ بَيَانَ الْعِلَّةِ لِكَوْنِ غَيْرِهِ أَعْلَمَ بِحَالِ نَفْسِهِ، فَإِنْ قِيلَ قَالَ اللَّهُ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً [نُوحٍ: 13] نَقُولُ الْقَائِلُ هُنَاكَ غَيْرُ مَدْعُوٍّ، وَإِنَّمَا هُوَ داع وهاهنا الرَّجُلُ مَدْعُوٌّ إِلَى الْإِيمَانِ فَقَالَ: وَمَا لِيَ لا أَعبد "**[14] التعريض يكشف عن حالهم بعمق ،وينال منهم بالطريقة التعريضية اللطيفة "، (15) ، واستدرج عقولهم من خلال مجيئه بالدليل على صحة قوله وهو أن الله تعالى هو من خلقه واحسن في خلقته وتفضل عليه بكل هذه النعم ،فهو المستحق بالعبادة ، ومجيء لفظة (فطرني)بصيغة الفعل الماضي الذي يدل على الحدث قبل زمن التكلم افادة اثبات أن الله تعالى قد خلقه من قبل وإنه الذي سيعيد خلقه ليوم القيامة ،كما اننا نجد في ذلك تعبير عن مدى اليقين والأيمان بالله، [16]ومن الأعجاز في الخطاب القرآني التعريف بالاسم الموصول(الذي) حيث افاد قصر المسند وهو (خلق الأنسان)على الخالق وهو الله قصراً حقيقاً؛ من اجل اثبات للمشركين صحة قوله ، [17]

ـأما ما جاء في سياق تبرئة نبي الله إبراهيم من دين أبيه وقومه،**قال تعالى:(إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه أنني بريء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فأنه سيهدين) ([18])** عندما بعث الله تعالى نبيه إبراهيم (عليه السلام)إلى قومه من أجل دعوتهم إلى عبادة الله فصدوا عن سبيل الله فقالوا أننا لن نتبع إلا ما وجدنا أباءنا عليه عاكفين ،فجاءت لفظة (فطرني)في سياق أسلوب القصر والتي أفادت قصر عبادة نبي الله إبراهيم(عليه السلام) على الله تعالى دون غيره من آلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى ،من جماليات أسلوب القصر الوارد في الآية الكريمة صور لنا شدة عزيمة النبي إبراهيم على ترك عبادة ابيه أزر وقومه اللذين اتخذوا عبادة هذه الأصنام ،بحجة أنهم وجدوا آباءهم عليها عاكفين بدون أن يتفكروا بأن

(11) سورة يس ،الآية :22
(12) الكشاف :10/4،ينظر:الجامع لأحكام القرآن:20/15.
(13) مفاتيح الغيب ـالتفسير الكبير:264/26.
(14)المصدر نفسه:264/26.
(15) الكناية في القرآن الكريم موضوعانها ودلالاتها البلاغية :265
(16) ينظر:مقاتيح الغيب ـالتفسير الكبير :264/26،شذا العرف في فن الصرف :13.
(17) ينظر:علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني:201.
(18)سورة الزخرف :الآية 27.

هذه الأصنام من صنع ايديهم وإنها لا تضرهم ولا تنفعهم :أي أنهم عبدوها بدون أي دليل عقلي وجده بعد طول تأمل وتفكير ،ولا دليل نقلي وجدوا أباءهم قد استدلوا به ،وإنما سبب كل هذه الحجج هو حب الدنيا والخوف من زوال نعيمها ،وإنهم لا يرغبون بالتعب وترك كل هذه الملذات ، فلفظة (فطرني) دلت على ان من يستحق الطاعة والعبادة هو الخالق الذي خلقه ، وأبدع في خلقه من قبل ولم يكن شيئاً ،وخلق له نعمة العقل والتفكر بعظمته سبحانه ،وكل هذا ألا يستحق الطاعة والعبادة بكل جوارحه والخوف من غضب الله عليه لكي لا تزول عنه ،حيث نجد أنها جاءت بسياق الإخبار بصيغة الماضي لتدل على أن الله تعالى قد خلقه من قبل ولم يكن شيئاً وإنه سيعيد خلقه من جديد ليوم الحساب ، [19]

ومن الأعجاز البلاغي في الخطاب القرآني هو مجيء التعريف المسند بالاسم الموصول أفادت قصر المسند على المسند إليه قصراً حقيقاً ،ثم أفاد" انشغال الخلق بتلك الأمور المثارة في جملة الصلة واشتهارها بينهم وخوضهم فيها وترددها على الأسماع وتلك ميزة يمتاز بها التعريف بالاسم الموصول "، (20)قال تعالى :"إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برء مما تعبدون "جاءت هذه الآية في سياق الخبر عن نبي الله إبراهيم عندما تبرء من عبادة دين أبيه ،ونجد أن القرآن الكريم جاء بلفظة (ما)التي جاءت بمعنى(الذي)لتوكيد الخطاب وإن المراد من لفظة (أبيه)ليس أبوه الحقيقي إنما ألمراد به عمه ؛لأن المتتبع لورود لفظة أبيه في القرآن الكريم يجد إنها وردت ثمانية مرات وأولها في سورة الأنعام قال تعالى:"(إذ قال إبراهيم لأبيه أزر)(الأب)وتريد به العم فعندما يسال رجل :أبوك موجود ؟فهو يريد الأب الحقيقي أما لوكان عمك أسمه محمد و قال أبوك محمد موجود ؟فإنه يريد بها العم ،والدليل على ذلك ما جاء في حديث النبي محمد(ﷺ)**"ما زلت أتنقل في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ،فأنا خيار من خيار "**صدق رسول الله (ﷺ) ،هذا يعني إن سلسلة النسب الطاهر تصل الى أبي إبراهيم (عليه السلام)إذ لا يصح أن يكون أبو إبراهيم(عليه السلام) كافرا عابدا للأصنام ، ([21])ونجد أن لفظة (بريء) جاءت مصدر(جملة اسمية) جاءت لتأكيد وثبوت قول نبي الله إبراهيم(عليه السلام) من تبرئته من دين أبيه وقومه [22]ونجد ان لفظة تعبدون جاءت بصيغة المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال ؛لأن قومه باقون على عبادتهم لهذه ألهة ومستمرون على عبادتها ،عبر عن طريق هذا الفعل على اصرارهم وعنادهم عن دين الله، (23) ، اما قوله تعالى: (إلا الذي فطرني فانه سيهدين)نجد انها جاءت في سياق الخبر الإنكاري لوجود العديد من المؤكدات الدالة على ثبوت قول النبي محمد (ﷺ) أما قوله تعالى :(سيهدين) ونجد أن السين للاستقبال تدل على أن هداية الله له قد تمكنت وستستمر في المستقبل ،ويفهم إنها حاصلة بفحوى الخطاب لتوكيد الخبر ؛أي لتوكيد قول النبي إبراهيم (عليه السلام)؛لأن المشركين كانوا ينكرون أنه على هدى ،أو سيكون على هدى في المستقبل [24]وقد خص الله تعالى ذكر تبرءة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)بالذكر ؛لأنها كانت أكبر دليل على إن مسألة الشرك لا يتهاون فيها حتى لوكان الذي يعبدها أقرب الناس الى موحد الله مثل الأب ،وأراد الله تعالى من الناس أن يقتدوا بنبي الله إبراهيم(عليه السلام) لما وجد في شخصيته من العزيمة والإصرار على توحيد الله ،فحاول أن يبحث عن خالق هذا الكون ويستدل على وجوده بدليل يعقله،قال تعالى:(**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ**

(19) ينظر:من بلاغة القرآن: 121،ينظر:علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني: 35/2 ،شذا العرف في فن الصرف :13
(20) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني:201.
(21) ينظر: تفسير الشعراوي: 13881– 13882.
(22) ينظر: جواهر البلاغة :58 وينظر: علوم البلاغة :52
(23) ينظر: البلاغة العربية :المعاني البيان البديع:45.
([24]) ينظر :تفسير البيضاوي:89/5،وتفسير التحرير والتنوير:193/25.

بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) ، [25]

هذا يعني إن الله تعالى أراد من عباده أن يعبدونه موقنين به متوكلين عليه أرادهم أن يؤمنوا به بعقولهم وقلوبهم ،وليس أن تكون العبادة مجرد حركات أو طقوس متوارثة لأصنام لا تضرهم ولا تنفعهم شيئا ولا يعقلون ما سبب عبادتهم لها ([26])،قال تعالى :قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قال لقومه أننا برءوا منكم وماءعبدون من دون الله) ([27])

وكما وقد تواشجت الفنون البيانية بالصورة المجازية ذات النمط المرسل وعلاقته الجزئية فالخطاب القرآني قد أطلق لفظ الجزء وأراد به الكل ومن بلاغة الخطاب القرآني أنه أطلق الوجه ؛لأن فيه جميع حواس الإنسان وأشرفها ،وأراد به الذات كلها بجميع جوارحه ، (28) ومن الإعجاز في الخطاب القرآني مجيء المجاز المرسل بعلاقته الجزئية ؛لأنه "يجب أن يكون له اتصال وثيق ومزيد اختصاص بالمعنى والسياق "، (29)**أما قوله تعالى : لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** نجد أن هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الخبر بأنه "مادام الله قد فطرنا على هذه الفطرة ،فلا تبديل لما أراده سبحانه "، (30) ومن الإعجاز في الخطاب القرآني مجيء اسم الإشارة (ذلك)اعطت دلالة التفخيم والتعظيم والمهابة لدين الله ، (31) بأنه "الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف "، (32)

،ونجد إن مجيء الفاصلة بلفظة (لا يعلمون) جاءت مناسبة لسياق ومقام الآية بكونه دعوة من قبل النبي(ﷺ)وإعراض وجهل من قبل المشركين ، بسبب انشغالهم بالدنيا ومتاعها ، (33)والدليل على ذلك قال أحمد بدوي: "التحام الفاصلة بالآية التحاماً تاما ،يستقر في النفس وتتقبله أعظم قبول يظن أن الآية تهيئ لفاصلة بعينها" [34]

(المبحث الثاني)

(سياق الصيغ المختلفة)

(25) سورة الأنعام،الآيات:75-79 .

(26) ينظر: التحرير والتنوير:193/25.
(27) سورة الممتحنة ،الآية: 4.
(28) ينظر:الجامع لأحكام القرآن :34/14،ينظر:أنوار الربيع في أنواع البديع :114-116،ينظر:الإبداع البياني في القرآن العظيم،محمد علي الصابوني :246.
(29)علم البيان دراسة تحليلة لمسائل البيان ،بسيوني عبد الفتاح فيود:142.
(30) تفسير الشعراوي:11419/18.
(31) ينظر:علم المعاني دراسة وتحليل ،كريمة محمود أبو زايد :81.
(32) ينظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي:3341/1.
(33) ينظر:من أسرار التعبير القرآني:170.
(34) من بلاغة القرآن:72

.أما ما جاء في سياق إثبات قدرة الله تعالى للمشركين الذي أنكروا البعث والمعاد وإعادة خلق الإنسان من جديد **قال تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا اَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)** (35) نجد أن هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الرد على المشركين الذين أرادوا بأسئلتهم تعجيز الله تعالى في قدرته على الخلق فجاء الرد بسياق الآية الكريمة ، فمجيء لفظة (فطركم)في سياق الأمر الحقيقي الصادر من الله تعالى إلى نبيه محمد (ﷺ)من أجل أن يثبت للمشركين صدق نبوءته فأتاه بالدليل القاطع على وجوده وقدرته ـ سبحانه فنجد في المعنى الذي يحمله أسلوب الأمر هو النصح والإرشاد للنبي محمد (ﷺ) في كيفية الرد على هؤلاء المنكرين والمعاندين لدعوته بالدليل القاطع الذي يثبت لهم صحة دعوته التي انزلت منه ـ سبحانه فلفظة(فطركم)دلت على أن الله تعالى هو الذي خلقكم وأنشأكم أول مرة ،وكنتم تراباً ما شم رائحة الحياة أليس الذي يقدر على ذلك بقادر على إعادة خلقكم من جديد ليوم الحساب، بدليل مجيئها بصيغة الجملة الفعلية التي دلت على التجدد والحدوث في الفعل ، [36]ومن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم هو مجيء لفظة (فطركم)للتعبير" بالماضي عن الأحداث المشار إليها جعل المتوقع لابد من وقوعه في المستقبل بمنزلة الواقع المحقق " (37) فكان الجواب الدليل القاطع على أن الله تعالى هو الذي خلقهم من قبل وإنه الذي سيعيد خلقهم من جديد ؛لأنه ـ سبحانه جعلهم يتفكروا بخلق أنفسهم ،وفي الوقت نفسه كان الرد اثبات لوجوده وقدرته ـ سبحانه على خلقهم من جديد، ومجيء الاسم الموصول (الذي)افاد قصر صفة الخلق على الخالق ،"وقد يثار تعريف الاسم الموصول الذي أفاد انشغال الخلق بتلك الأمور المثارة في جملة الصلة واشتهارها بينهم وخوضهم فيها ،وترددها على الأسماع وتلك ميزة يمتاز بها الاسم الموصول" ، (38)وكما افادة **الْإِيمَاءِ إِلَى تَعْلِيلِ الْحُكْمِ بِأَنَّ الَّذِي فَطَرَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ**"، [39] **اما قوله تعالى (قل كونوا حجارة او حديد أو خلقاً مما يكبر في صدوركم)** نجد أن " فنجد هنا بروز أسلوبين بلاغيين الأول أسلوب الأمر الذي جاء بمعنى التسوية أي: التسوية بين العظام والرفات التي كانت حية في فترة من الفترات ،بالحجارة والحديد ،مع أن طبائعها الصلابة ،وهي مادة ليس فيها حياة أو روح ،وهي من جنس ما ركب منه البشر فجاءهم الرد من الله سبحانه وتعالى ،أمر نبيه أن يقول لهم إن كنتم تستصعبون عودتكم الى الحياة، بعدما كنتم عظاما ورفاتا ،التي كانت حية في فترة من الفترات، فأنه سبحانه قادر على إعادتكم الى الحياة حتى و لوكنتم أعظم وأبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ، ذلك على الفرض وهي أن تكونوا حجارة أو حديد ،مع أن طبعها الصلابة ،وهي مادة ليس فيها حياة ،فأن الله تعالى قادرا على إعادتها الى الحياة مرة أخرى ، (40)والأسلوب البلاغي الثاني هو الكناية في قوله (حجارة أو حديد) "كناية تشير إلى معنى التعجيز والتحدي لهم فضلاً عن توبيخهم وتقريعهم ؛لأن الكناية بالحجارة والحديد هما من الجماد الذي لا يحس ولا يشعر" [41]

ومن النسيج البلاغي في الخطاب القرآني أسلوب المقابلة حيث جعل الأجسام الواهية اللينة (العظام والرفات) مقابلة للأجسام الصلبة (الحجارة والحديد) ؛ من أجل بيان قدرته سبحانه على خلقهم من أي مادة

(35) سورة الأسراء، الآية :51 .
(36) ينظر:الجامع لأحكام القرآن :274/10’ ينظر:بحر العلوم للسمرقندي:315/2، روح المعاني:88/8، ينظر:علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم ،حسن طبل:51.
(37)علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني:294/1.
(38) المصدر نفسه:201
(39) التحرير والتنوير:128/15
(40) ينظر :الكشاف :671/2،ينظر :مفاتيح الغيب:353/20،تفسير الشعراوي:8601 .ينظر البلاغة العربية المعاني البيان البديع:77

(41) الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، أحمد فتحي رمضان :181.

شاء مهما اشتدت من المتانة والصرامة (42)ومن الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني تكرار حرف العطف (أو) في سياق هذه الآية الكريمة والتي افادة بيان العظمة والقدرة لله تعالى بأنه قادر على خلقهم من كل شيء ، (43)ومن الأعجاز البلاغي ايضاً مجيء حرف العطف (أو) ؛لأن المقام مقام شك من المشركين لدعوة النبي محمد (ﷺ)فمن الأنسب مجيء حرف العطف (أو)من أجل نفي الشك وإزالته، [44]

.أما ما جاء في سياق تكملة الرد على المشركين و افترائهم قال تعالى(: أو خلقا مما يكبر في صدوركم) نجد أن هذه الآية جاءت مكملة للخبر عن الحوار الذي دار بين الأنبياء (عليهم السلام)والمشركين ،كما إنها جاءت تكملة لتوكيد قول الأنبياء(عليهم السلام) بقدرة الله تعالى على البعث ،وهو خبر صادق؛ لأنه من الله تعالى يخبرنا عن حال الرسل مع أقوامهم ،جاءت بمعنى هات الأعظم فالأعظم ،وتوغلوا في البعد عن الحياة فإنه قادر على إعادتكم " قال ابن عباس:" إن المراد فيها الموت" أي :لوكنتم الموت نفسه فالله قادر على إحيائكم، (45)وقيل أن المراد بها السماوات والأرض، (46) نجد أن هذا الرأي قيل على سبيل المبالغة كما إننا نجد إن هذا محال؛ لأن أبدان الناس أجسام والموت عرض ،والجسم لا ينقلب عرضا ،ثم بتقدير أن ينقلب عرضا فالموت لا يقبل الحياة ؛لأن أخذ الضدين يمتنع اتصافه بالضد الأخر ، (47)أما **قوله تعالى:(فسيغضون إليك رؤوسهم)"** أي يحركونها من فوق الى أسفل ومن أسفل الى فوق كما يفعل المتعجب المستبطئ للشيء " (48)فالنسيج البلاغي في هذه المقطع من الآية هو الكناية حركية عبر من خلالها عن حالتهم النفسية المتكبرة والمنكرة والمستهزئة بدعوة الرسول (ﷺ) ومن ما يعمق دلالة الإنكار والاستبعاد لليوم الذي يبعث فيه الموتى للحياة والحساب ، قوله تعالى : (فسيقولون متى هو)(49)ومن الأعجاز البلاغي في الخطاب القرآني هو مجيء الفاء بين المعطوف والمعطوف التي افادة الترتيب والتعقيب بين الأحداث بلا فاصل زمني (50)حيث استطاع بذلك ان يصور لنا الحوار كأنه امام أعين القارئ بسلسة من الحلقات متواصلة بدون انقطاع واضحة الفكرة والغرض ،نجد أسلوب الاستفهام بقوله:(متى هو) نجده يحمل دلالة الاستهزاء والسخرية بما أنزل اليهم لعدم اقتناعهم به والشرك قد ملئ قلوبهم ، ومن الممكن جاء التعبير عن(يوم القيامة) بالضمير المنفصل (هو)اراد القرآن الكريم التعبير عن مدى شدة استهزائهم وإنكارهم وعدم اعترافهم بما أنزل عليهم ،فلو كانوا موقنين بما انزل عليهم لقالوا (متى يوم القيامة)مثل أي شخص يقبل على الإسلام وهو لا يعلم شيء عن تفاصيله لكنك تستشعر في قلبه الإيمان باعترافه بلفظة (يوم القيامة) [51]نجد أسلوب الأمر متمثلا بفعل الأمر وهو أمر حقيقي صادر من أعلى منزلة وهو الله ﷻ إلى أدنى وهو نبيه محمد (ﷺ)(قل)عسى أن يكون قريبا ؛لأن ما هو محقق إتيانه فهو قريب، وإنما علم الساعة من الغيبيات التي لا

(42) ينظر :التحرير والتنوير:124/15ينظر :علوم البلاغة المعاني البيان والبديع:322،ينظر:الأيضاح في علوم البلاغة 259 .
(43) ينظر :من بلاغة القرآن ،محمد شعبان علوان ،نعمان شعبان علوان :82.
(44) ينظر :معاني النحو:250.
(45)ينظر :مفاتيح الغيب:353/20. .،ينظر :تفسير الشعراوي:8603،ينظر:البلاغة العربية المعاني البيان والبديع:44.

(46) ينظر:الكشاف:671/2.
(47) ينظر :جواهر البلاغة:321،ينظر:مفاتيح الغيب:353/2.
(48) معاني القرآن ،أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد(ت:338ه):164/4.
(49) ينظر :الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية ،:181،ينظر:جواهر البلاغة :249، ينظر :الكشاف :672/2.
(50)ينظر: من اسرار حروف العطف:50،ينظر:معاني النحو:231-232.
(51) ينظر :من بلاغة القرآن :"128،ينظر:علوم البلاغة المعاني البيان البديع:71-72،ينظر:جواهر البلاغة :78،ينظر روح المعاني:89/8.

يعلمها إلا الله تعالى ، [52] **قال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ،يسألونك كأنك حفي عنها ،قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)،** [53]

أما ما جاء في سياق إثبات نبوءة موسى (عليه السلام)وإيمان قومه به على الرغم من تهديد فرعون لهم بتقصيع ايديهم وارجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل ، **قال تعالى: قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (54)** سنجد أن سبب نزول هذه الآية الكريمة تسلية للنبي محمد(ﷺ) مما أصابه من قول كل من أبو جهل والنظر بن حارث للنبي (ﷺ) عندما قالوا له :"إنك لشقي بترك ديننا "لما رأياه من طول عبادته وشدة اجتهاده بالتهجد والعبادة لله ،فأنزل الله تعالى هذه السورة تسلية للنبي محمد(ﷺ)عن طريق ذكر قصة نبي الله موسى (عليه السلام) تصوير المصاعب والمحن والابتلاءات التي اصيب بها منذ صغره إلى أن أصبح نبياً، **و أمره الله تعالى له بالدعوة إلى دينه ،فصورة لنا هذه الآية الكريمة صور العذاب** الذي لحق قوم موسى (عليه السلام)عندما آمنوا بدعوته ورسالته وتركوا عبادة فرعون فتوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل(55) فكان الرد من قوم موسى (عليه السلام) بالإعراض عن دين فرعون وتركه والإقبال على دين موسى (عليه السلام) **ف**نجد أن لفظة (فطرنا) جاءت في سياق الإنشاء الغير طلبي بأسلوب القسم بحرف(الواو) بينت لنا قسم قوم موسى بالذي خلقهم واوجدهم في هذه الحياة ،بأنهم لن يختاروه ويفضلونه على الذي خلقهم وأبدع في خلقهم، **على ما ظهر لنا من المعجزات التي جاءنا بها موسى، والتي على رأسها عصاه التي ألقاها فإذا هي تبتلع حبالنا وعصينا.** فالموصول مقسم به ،وجواب القسم محذوف دل عليه ما قبله ، ([56])ومن الإعجاز في الخطاب القرآني مجيء الاسم الوصول (الذي) التي أفادت التشويق إلى تمكين الخبر في ذهن السامع وهو(فرعون) ؛لأن محبة الله وخشيته إذا دخلت قلب الإنسان لا يقف أمامها أي قوة ،ولا يهاب بعدها أي شيء ،فلما الخشية والخوف والقلق ومعهم ملك الملوك القادر على كل شيء ،إذا أراد شيء يقول له كن فيكون ، افادة لفظة (فطرنا)أن الله تعالى الذي خلقهم من قبل لم يكونوا شيئاً وإنه سيعيد خلقهم من جديد ليوم الحساب بدليل مجيئها بالصيغة الفعل الماضي الذي يدل على الحدث قبل زمن التكلم ، فبين هذا التعبير بهذا الأسلوب شدة الإيمان واليقين والاصرار على عبادة الله وحده وترك عبادة فرعون ، على الرغم من التهديد الشديد بالعذاب الذي ينتظرهم منه، (57) **أما قوله تعالى:(اقض ما انت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)** ومن النسيج البلاغي في هذه الآية الكريمة أسلوب الأمر بفعل الأمر (أقض) في هذه المقطع من الآية الكريمة ،حيث أجاب اللذين آمنوا بدعوة موسى(عليه السلام) ،فغضب فرعون وقام بتهديدهم بشتى أنواع العذاب ،فأجابوه أفعل ما تريد أن تفعل، فإن قضاءك وامرك علينا في الدنيا فقط ،ومجيء ضمير المخاطب (أنت)بدلاً من الإفصاح باسم(فرعون) برزت ذهاب مهابة فرعون وعظمته وخشيتهم منه وكأنه مثل أي شخص عادي كما عبرت عن سخريتهم واستهزائهم بكلامه ؛لأنهم على يقين كامل بأن كل شيء في هذه الدنيا إلى زوال سواء من نعيم أو عذاب فإن ما يهمهم هو الموت على الدين الصحيح الذي يضمن لهم النجاة من العذاب والفوز بالجنة . ، [58]ومن النسيج البلاغي في الخطاب القرآني الإطناب بتكرار لفظة (اقض ،قاض)التي

---

(52) ينظر :من بلاغة القرآن :129،ينظر:جواهر البلاغة:71،ينظر:مفاتيح الغيب:353/20،ينظر:روح المعاني:89/8.

(53) سورة الأعراف،الأية :187.

([54]) سورة طه ،الآية :72.

(55) ينظر:أسباب نزول القرآن :311.

(175)ينظر:التفسير الوسيط :129/9،ينظر:علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة:204.

(57) ينظر:علم المعاني دراسة وتحليل :78،شذا العرف في فن الصرف:13، ينظر:تفسير الشعراوي:9328،ينظر:الجامع لأحكام لقرآن :77/22.

(58) ينظر:بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح :46.

أفادت تأكيد قولهم وتثبيته، [59] ومن الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني أسلوب القصر(بإنما)؛لأنها تفيد "إثبات ما يذكر بعدها ونفي ما بعدها من الأحكام " [60]حيث أفادت اثبات حيث قصر عذابه على الدنيا فقط ،ونفيه عن اللحاق بهم في الأخرة ؛ لأن العذاب في الدنيا مهما طال وقته فإنه زائل بوقت محدد وإن عقوبة الدنيا أهون من عقوبة الأخرة ،و وما تملكه لنا من العذاب أيسر من أن يخشاه قلب متصل بالله ،وإن الأجر والمتاع الذي ينتظرهم في الأخرة أعظم وأنفع، من متاع الدنيا الزائل ، فهم يرجون المتاع الخالد ، (61)

.أما ما جاء في سياق تسلية الرسول (ﷺ)عندما اصابه الهم والحزن بسبب قول المشركين **قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (62)**نجد أن سبب نزول سورة الروم هو أن جيش بلاد فارس غلبت جيش الروم، "وهم أهل كتاب ،وبلغ ذلك النبي وأصحابه بمكة فشق ذلك عليهم ،وكان النبي (ﷺ)يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ،وفرح كفار مكة وشمتوا به ،فلقوا أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)فقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون ،وقد ظهر إخواننا من الفرس على إخوانكم من الروم ،وإنكم قاتلتمونا لنظهرن عليكم ،فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية النبي محمد (ﷺ)أمرا إياه أن يلتزم بدينه ولا ينشغل بأقوال وافتراءات المشركين ويحذره أن يشغلوه عن مهمته ،ويأمره أن يجعل وجهته لربه وحده ،من غير أن يلتفت عنه يميناً ولا شمالاً أي: إن الله تعالى أراد تقويم المقصد ،والقوة على الجد في أعمال الدين ،والأقبال والاستقامة عليه ، (63) (فطرة الله)نصب بمعنى اتبع الدين واتبع فطرة الله ' وقول الفقهاء فيه قد قيل معناه (يولد على الخلقة التي تعرفونها)،ومن هذا نستنتج أن الخطاب القرآني اضاف الفطرة إلى الله تعالى من أجل أن يثبت بأن الله تعالى هو من خلق الفطرة في النفس البشرية وإنه من وضع هذا الدين ،فوضع فطرة الإنسان موافقة لهذا الدين ؛من أجل أن يحكم هذا الدين قلب الإنسان ويبعده عن كل الشهوات التي تظله وتوقعه في المحرمات؛ من أجل أن يعيش حياة طيبة كريمة يسودها الراحة والاستقرار النفسي والأمان الاجتماعي في ظل شريعة الله ،كما أن الله تعالى جعل الفطرة موافقة على مقتضى الفطرة العقلية ،أي: وفق ما يقتضيه العقل ويدركه ،أي :إن الله أراد من الإنسان عندما يؤمن بالله أراد أن يشعر بالراحة والاطمئنان ؛لأنها موافقة لطبيعته ،كما إنه سيكون كامل الثقة واليقين بصحة دينه وأفعاله ؛لأن هذا الدين موافق لطبيعته العقلية ومدركاته ، (64) ومن جماليات النظم البلاغي في الخطاب القرآني هو مجيء لفظة (الفطرة) في سياق الإطناب بتكرار لفظة (الفطرة)في الآية الكريمة التي جاءت تثبيتاً لقلب لنبي محمد (ﷺ)وتأكيداً له أن الله جعل دين الإسلام موافق للفطرة البشرية ؛ لكي لا يخشى على أمته من الظلال الذي هم فيه ،فبالصبر والتحمل سيتحقق مرادك من هدايتهم ؛لأن الله تعالى قد جبل قلوبهم على دينه، وكرر لفظة (الفطرة)تأكيداً بأنه جعلها أيضاً للأمم التي من قبلهم بدليل مجيئها بصيغة الفعل الماضي الذي يدل على الحدث قبل زمن التكلم فكل هذا تسلية للرسول ،وتثبيتاً لقلبه مما أصابه من أذى المشركين ، [65]ومن الممكن أن الخطاب القرآني قد أتى بلفظة(الناس)على غيرها من الألفاظ مثل المؤمنون أو العابدون نجد أن الخطاب القرآني أراد أن يعبر بأن المراد منهم عامة الناس مؤمنهم

(59) ينظر:البلاغة فنونها وأفنانها:488.
(60) علم المعاني دراسة نقدية بلاغية لمسائل المعاني:43/2.
(61) ينظر:بدائع التفسير:184،ينظر:التحرير والتنوير:266/16،في ظلال القرآن:2343/4،ينظر:جواهر البلاغة:71،من بلاغة القرآن :129،علوم البلاغة المعاني البيان البديع71-72.
(62) سورة الروم ،الآية :30.
(63) ينظر :أسباب نزول القرآن ،أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468ه):354،ينظر:بدائع التفسير ،لأبن قيم الجوزية:311/2.
(64) ينظر :إعراب القرآن :185/3،ينظر:في ظلال القرآن:2767/5،ينظر:التحرير والتنوير:91/21.
(65) ينظر:التكرار في القرآن الكريم واسراره البلاغية في ضوء كتابات علماء العرب وكتابات علماء شبه القارة الهندية (دراسة تطبيقية مقارنة)،الطالب يارزمان جنت كل "منكل"،بحث مقدم لنيل درجة الدكتورة في الدراسات البلاغية ، بالجامعة الإسلامية العالمية ـإسلام أباد،1432هـ2011م.: 48,50-51،ينظر:البلاغة العربية علم المعاني ،عبد العزيز عتيق 192:

،وكافرهم ضالهم، ومهتديهم أي :أنه جعل فطرة الدين في قلوب جميع الناس حتى وإن ظلوا عنه في فترة من الفترات فسوف يأتي يوم ويعودون فيه إلى فطرتهم؛ لأنهم يجدون فيه الراحة والاطمئنان للقلب والسعادة النفسية فإنك قد ترى شخص غير مسلم لكنه عند سماعه للقرآن يقشعر بدنه وتدمع عينيه ؛لأن هذا الدين قد خلقه الله في قلبه مثل النبتة الصالحة التي تحتاج إلى دوام الرعاية والاهتمام فإن تركها أو عدم الاهتمام بها يذبلها ويفنيها.

أما قوله تعالى :(أقم وجهك للدين حنيفاً)فقد برز في هذا المقطع من الآية أسلوبين بلاغيين أولهما أسلوب الأمر بفعل الأمر(أقم)وهو أمر من الله تعالى إلى نبيه الغاية منه النصح والإرشاد في كيفت التعامل مع هؤلاء المشركين ، فنجد أن في الكلام تمثيل ؛لأن من أهتم بشيء محسوس بالبصر عقد إليه طرفه وسدد إليه نظره وأقبل عليه بوجه غير ملتفت عنه فكأنه قيل فعدل وجهتك للدين وأقبل عليه إقبالاً كاملاً، (66)أما قوله(حنيفا))وهو الميل عن الباطل أي: العدول عنه متوجها الى الحق ،مخلصا بعملك لله أي لا يكون في قلبك شيء أخر تعود اليه سوى الله ، (67)كقوله تعالى(ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (68)ويمكن القول أن الله تعالى فطر عباده على الحنفية ؛ لأنها المتضمنة لكمال حبه والخضوع له ،وكمال طاعته وحده دون غيره ؛لأن هذا من حق الذي خلقت له وبه قامت السماوات والأرض ،ولأجله خلقت الجنة والنار، ولأجله أرسل رسلا وأنزل كتبه، فكونه سبحانه أهلا أن يعبد ويحب ويحمد ويثنى عليه أمر ثابت له ولذاته ، وهو الذي يستحق أن يوله محبة وتعظيما وخشية وخضوعا و تذللاً، نجد ورود الاستعارة في هذا المقطع من الآية وهي استعارة تصريحية تمثيلية ،(حنيف) وهي صفة لرجل وجعلها للدين، **صورة لنا بأن الدين** كالرجل الحنيف الملتزم بطاعة الله والمخلص في دينه ، المتبع لسنة أبيه إبراهيم (عليه السلام) كل همه في الدنيا هو طاعة الله، والموت على الإسلام ، وملاقاة ربه خاليا من جميع الذنوب، والفوز بالجنان (69)

الخاتمة :

نحمد الله - سبحانه ونشكره على جليل نعماه وجزيل عطاياه ونصلي ونسلم على سيدنا محمد(ﷺ)أفضل الخلق وهادي البشر إلى الدين القويم وبعد:

فقد توجب أن نضع بين يدي القارئ أبرز النتائج مسرودة في خاتمة وبطريق الإجمال بعد التفصيل والإيجاز بعد الإطناب وما ذاك إلا لأن الأعمال تحسن بخواتيمها وتفضل بنواتيجها وهي على النحو الآتي:

وأهم النتائج التي توصل إليها البحث هي أن لفظ (الفطرة) التي جاءت في سياقات خلق الإنسان ،فقد وردت ثلاثة آيات منها بصيغة فطرني وثلاث آيات منها وردت مختلفة الصيغ وكانت جميعها بمثابة الدليل القاطع على وجود الله تعالى ووحدانيته ووجوب طاعته عندما بعث الله تعالى أنبيائه(عليهم السلام) من أجل دعوة أقوامهم إلى دينه وتوحيده ؛ لما في خلق الإنسان من الدلائل الباهرة والقدرة العظيمة على وحدانيته سبحانه،

قائمة المصادر والمراجع:

1. أسباب نزول القرآن ،أبي الحسن بن علي بن أحمد الواحدي(ت468ه)،دار الكتب للعلمية ،بيروت، لبنان ،ط 1 ،1411 هـ -1991 م.
2. أسلوب الحوار في القرآن الكريم دراسة خصائصه الإعجازية وصوره النفسية ،عبد الله الجيوسي ،المجلة الأردنية في الدراسات النفسية ،1427ه -2006م ،العدد2.

(66) ينظر:الكشاف:479/3،ينظر:جواهر البلاغة :71.البلاغة فنونها وأفنانها:149-150.
(67)ينظر:التحرير والتنوير:89/21، ينظر:في ضلال القرآن :2767/5.
(68) سورة البقرة،الآية :135.
(69) ينظر:بدائع التفسير:311،وينظر :البلاغة العربية المعاني البيان البديع:45.

3. إعراب القرآن ،أبو جعفر النحاس أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338ه)، محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـبيروت ، ط1 ، 1421ه.
4. الابداع البياني في القرآن العظيم ،محمد علي الصابوني ، مكتبة العصرية ،صيدا بيروت، ط1 ،1426هـ2006م.
5. الأحتراس في القرآن الكريم ،حنان بنت قاسم بن محمد العنزي ، دار الصميعي،ط1 ،1434هـ –2013 م.
6. الإيضاح في علو البلاغة ،الخطيب القزويني (ت 739ه)، دار الكتب العلمية بيروت ـلبنان ، ط1 2003 –1424 م
7. ألبلاغة العربية ،المعاني البيان البديع،عبد العزيز عتيق، دار النهضة للطباعة والنشر ،بيروت ـلبنان ،(د.ط)،(د.ت).
8. ألبلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، (د.ت) دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط4 ،1417ه-1997-م.
9. ألتحرير والتنوير،محمد الظاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت1393ه)،الدارالتونسية للنشر والتوزيع،1984م.
10. ألتفسير القرآني للقرآن،عبد الكريم يونس الخطيب (ت:1390ه)، دار الفكر العربي،القاهرة ،(د.ط)،(د.ت)
11. ألتكرار في القرآن الكريم وأسراره البلاغية في ضوء كتابات علماء شبه القارة الهندية (دراسة تطبيقية مقارنة)الطالب ،يازمان جنت كل منكل)بحث مقدم لنيل درجة الدكتورة في الدراسات ألبلاغية بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد،1432ه –2011م.
12. ألجامع لأحكام القرآن ،ابو عبد الله بن أحمد بنأبي بكر بن فرج الأنصاري بن شمس الدين القرطبي (ت 671ه)،دار الكتب المصرية القاهرة ،ط 2 ، 1384-1964م.
13. الكشاف عن حقائق غوام ض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ألزمخشري(ت538ه)،دار الكتب العربي ـبيروت ،ط 3 ،1407ه.
14. الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية ،أحمد فتحي رمضان ،الناشر:دار غيداء ،ط1 2014م - -1435ه.
15. أنوار الربيع في أنواع البديع ،صدر الدين بن معصوم المدني (ت 1120ه)،ط1،(د.ت)
16. بحر العلوم ،أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد\ بن إبراهيم السمرقندي (ت 373ه)،ترقيم ألكتاب موافق للمطبوع وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير .
17. بدائع التفسير ،ابن قيم الجوزية ،الناشر :دار ابن الجوزي ،ط1، 1427ه.
18. بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح ،عبد المتعال الصعيدي،(د.ت)، مكتبة الأداب ،1999م.
19. تفسير الشعراوي،محمد متولي الشعراوي(ت:1418ه)الناشر:مطابع أخبار اليوم،(د.ط)،(د.ت)
20. جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ،أبو جعفر ألطبري(ت 310ه)،مؤسسة الرسالة،ط 1 ،1420 ه ــ2000م،
21. جواهر البلاغة ، د.أحمد الهاشمي ،(د.ت) المكتبة العصرية ـصيدا ـ بيروت .
22. خصائص التعبير القرءآني وسماته البلاغية ،عبد العظيم مطعيني ،الناشر:مكتبة هبة ،ط1، 1413ه ـــ1992م.
23. دلالات التركيب، د.محمد محمد أبو موسى ، مكتبة هبة ،1408هـ1987م.
24. دلائل الإعجاز ،الأمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمنبن محمد الجرجاني ألنحوي،(ت471هـ474ه)،مكتبة الخانجي،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)
25. شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي ،(د.ت) ،دار الفكر العربي ـبيروت ،(د.ط)،(د.ت)
26. علم المعاني ،دراية بلاغية نقدية ،بسيني عبد الفتاح فيود،(د.ت) المختار للنشر والتوزيع ،(د.ط)،1436هـ ـــ1015م.

27.علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم ،حسن طبل ،الناشر:مكتبة الإيمان ،ط2، 1425هـ ـــ2004م.
28.علوم البلاغة المعاني البيان البديع ،أحمد مصطفى المراغي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط3، 1414م -1993 ه.
29.في ظلال القرآن ،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385ه) دار الشروق ،بيروت ،(د.ط) ،1412ه.
30.معاني النحو ،فاضل صالح السامرائي ،الناشر:دار الفكر ،ط1، 1420ه ـــ 2000م.
31.مفاتيح الغيب ـالتفسيرالكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ألملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)،دار الفكر دمشق،ط3،(د.ت)
32.من بلاغة القرآن،أحمد أحمد بدوي،(د.ت) نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م.